نظام الوصف بين الرواية الانجليزية والعربية "دايفيد كوبرفيلد لتشارلز ديكنز و زقاق المدق لنجيب محفوظ" أنموذجا

Description system between English and Arabic novel David Copperfield by Charles Dickens and the Midaq Alley by Naguib Mahfouz as an example

فاطمة جرمون*

عمرو عيلان♣

تاريخ الإرسال: 2020/07/27	تاريخ القبول:2021/08/17	تاريخ النشر:2021-12-20

الملخص:

يشرح الأدب المقارن مناطق التلاقي بين الآداب، ويوضح ما يسفر عنه من نتائج في توجيه حركات التجديد الأدبية والفكرية، وقد أفاد الأدب العربي من آداب الأمم الأخرى، وحرص على تنمية وعيه وثقافته وإكمالها والنهوض بهما، وكان للرواية الحظ الأوفر من ذلك، ويعد نجيب محفوظ أحد أقطاب الرواية العربية العالمية، فرواياته وقصصه القصيرة، نقلت القاهرة بأحيائها وسكانها إلى بيت كل قارئ، وصورته التي رسمها عنها، تقارن بسادة الأدب الأوروبي مثل **أونوريه دي بلزاك وتشارلز ديكنز**، الذي كان له أثر بارز فيه، وخاصة في حبه الكبير للوصف، وتصوير كل ما كانت تقع عليه عيناه، ولذا اعتبر الكثير أن نجيب محفوظ هو **ديكنز** مصر.

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، الرواية، الوصف، تشارلز ديكنز، نجيب محفوظ.

المؤلف المرسل: فاطمة جرمون fatimadjermoune@gmail.com

* جامعة عباس لغرور خنشلة fatimadjermoune@gmail.com

♣ جامعة عباس لغرور خنشلة trandis40@gmail.com

المنارة للاستشارات

Abstract:

Comparative literature explains the areas of convergence between literatures, and explains the results it leads in directing literary and intellectual renewal movements. Arab literature benefited from the literature of other nations, and was keen to develop its awareness and culture, complete it and promote them, and the novel had the best of luck, and Naguib Mahfouz is one of The poles of the international Arab novel, his novels and short stories, Cairo moved its neighborhoods and its inhabitants to the home of every reader, and the image that he drew on it is compared to the masters of European literature such as Honoré de Balzac and Charles Dickens, who had a prominent impact on him, especially in his great love for describing, photographing All that was in his eyes, and that is why many considered Naguib Mahfouz is Dickens of Egypt.

***Key words**:comparative literature, novel, description, Charles Dickens, Naguib Mahfouz*

مقدمة:

انفتح العرب في العصر الحديث على ثقافة وأدب الآخر، واطلعوا على مختلف الآداب العالمية، وكان لهذا الانفتاح مظاهر كثيرة؛ لعل أهمها الترجمة، وقد مهدت الترجمة الطريق للتأثير والتأثر المتبادل بين الثقافتين العربية والغربية، في مجال الرواية والقصة، بالإضافة إلى اطلاع روّاد القصة بأنفسهم، على الآداب الغربية في أصولها، نظراً لما ساد تلك الآداب من تيارات عامة تشابهت فيها جميعاً، فاختلط فيها تأثير المذاهب بعضها ببعض، مما يصعب معه تمييز خطوط تأثيرها في أدبنا، وتحديد مداه من كل أدب،ومن هؤلاء الروائي العربي **نجيب محفوظ**؛ الذي تأثر كثيرا بالرواية الأوروبية والإنجليزية تحديدا، فكانت روايات "**تشارلز ديكنز**" حاضرة في ذهن نجيب محفوظ، وجسدها في روايته من خلال تلك البراعة العالية في وصفه للقاهرة وأحيائها وشخوصها، ولهذا وقع اختيارنا في هذه الدراسة على براعة الوصف، لدى كل من **محفوظ وديكنز** في الرواية ورصد التشابه بين **نجيب محفوظ وتشارلز ديكنز** في مهارة الوصف في الرواية؟ متبعين المدرسة الأمريكية التي تقوم على مبدأ التشابه والتوازي في دراستها للأعمال الأدبية.

1- التشابه بين نجيب محفوظ وتشارلز ديكنز:

ترددت أسماء بعينها، كمؤثرة في نجيب محفوظ[†]، لأنه "قرأها مباشرة، أو لأنه سار على أسلوبها في التناول الروائي، وفيما يخص هذه القضية الأخيرة تذكر أسماء: **ديكنز**[‡] **وتولستوي وزولا**، وإذ يسمح هؤلاء لشخص بالبروز كبطل، لكنه لا ينفرد بهذه البطولة، بل توجد إلى جانبه مجموعة من الشخصيات، تؤثر حياتهم في البطل، ويتأثرون به، ويفرد لهم المؤلف فصولا بأكملها... حيث يعرض لحادث ثم يتركه في الفصل الذي يليه ليعرض غيره، ثم يعود بدوره إلى ما سبق، وكأن أمامه مجموعة من الخيوط، يحيكها في نسيج متماسك. أما فيما يخص قصة الأجيال، فيذكر بعض النقاد **بلزاك وجول رمان** الفرنسيين، ونجيب محفوظ في مرحلته الواقعية مثل **بنيت**، يلتقط نماذجه من حيث يكتنفها التطور وتستهدف للتغيير، وهذا القول ينسحب على تجاربه الأولى كالقاهرة الجديدة وزقاق المدق." [1] اللتان تمثلان المرحلة الواقعية في فنه الروائي.

ويؤكد الكثير من المثقفين – خاصة النقاد منهم والأدباء – على أوجه الشبه بين أديبنا العظيم نجيب محفوظ، والأديب البريطاني **تشارلز ديكنز** "حيث أن كلاهما نال من الشهرة ما لم يحظ به أديب آخر في عصره. ونرى هنا أوجه الشبه بين محفوظ وديكنز؛ من حيث التأثير القوى للبيئة التي نشأ فيها كل منهما، مع الفارق طبعا .. والقدرة الفائقة لكليهما على الوصف الدقيق لتلك البيئة، لدرجة تجعل القارئ يكاد يعيش في تلك البيئة، مع هذه الشخصيات الواقعية دائما .. فبينما نجد محفوظ يجعلنا نتعايش مع الفتوات والحرافيش

[†] **نجيب محفوظ (1911-2006):** هو **نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا**، ولد بحي **الجمالية**، أحد الأحياء في منطقة الحسين بالقاهرة الفاطمية، وذلك في **11ديسمبر1911**، توفي في الثلاثين من أوت **2006** بعد أن بلغ خمسا وتسعين سنة من عمره، وقد أضاف إلى المكتبة العربية ما يقارب الخمسين مؤلفا ومنها: **زقاق المدق 1947**.

[‡] **تشارلز ديكنز Charles Dickens (1812_1870):** روائي إنجليزي ولد في **7 فبراير 1812** "بالقرب من مرفأ **بورتسموث** في جنوبي إنجلترا على بحر المانش،"[+] توفي **ديكنز** في "الثامن من حزيران عام **1870** إثر مشاهد من تمثيل لرواياته التي كان يعرضها بنفسه،"[+] وكان من الشهرة بحيث دفن في دير "**وستمنستر**" بين أعظم شعراء الإنجليز ورجالاتها".[‡] في ذلك الوقت. من مؤلفاته التي تركها لنا، **دايفيد كوبر فيلد**، وغيرها من المؤلفات.

المنارة للاستشارات

في الحارة، ومع التجار في الحمزاوي، وطبقة الموظفين في العباسية، فإن ديكنز نجح في أن يجعلنا نعيش مع الطبقة الفقيرة، والأطفال المحرومين من النقود، والعطف والتعليم، والأيتام في الملاجئ، وسط أحياء لندن المتسمة بالفقر المدقع، في تلك الآونة وهم ما يطلق عليهم **أطفال الشوارع**، بلغة هذه الأيام، وبالقدر نفسه جعلنا نتعايش مع المحامين، والمتقاضين، والمجرمين، واللصوص في أروقة المحاكم الإنجليزية، في تلك الفترة .. وكانت لديه – كما لدى محفوظ- القدرة على وصف الجمال، وصنعه من قبح الحياة وحسنها على السواء، وكذلك فتنة الحكي بلغة سلسة تملك لب القارئ"[2] وتجتذبه لقراءة المزيد.

تناول المخرج توفيق صالح الغزالي، جوانب من السيرة الذاتية والأدبية للأديب الراحل، منها ما تأثر به في طفولته، وانعكس لاحقا على أعماله الأدبية، وقال صالح الغزالي: "أن جائزة نوبل لم تكن من أجل رواية 'أولاد حارتنا' فقط، إنما أساس الجائزة هو اعتبار لجنة الجائزة له، بأنه يشبه تشارلز ديكنز، في رصده لقضايا المجتمع وتطورها زمانيا، ومنها كانت أولاد حارتنا، التي يمكن أن نقول عنها أنها قصة البشرية " ختم صالح كلمته حول موضوع جائزة نوبل بقوله: "أنا لا أدافع عن محفوظ، ولكن اذكر بعض الحقائق منها أنه ترجم أعماله إلى الإنكليزية ثم انتشرت بعد ذلك بلغات أخرى بلغت أربعين لغة"[3] وهذا يدل على عالمية أدبه.

أما الكاتب **روبرت فيسك** في حديثه عن نجيب محفوظ في مقاله بصحيفة "**الاندبندنت**" يقول "إن نجيب محفوظ هو تشارلز ديكنز مصر، وهو ما أثار قلق الكاتب، باعترافه حيث كيف يمكن أن يكون هناك اثنين من ديكنز لكنه يرى أن نجيب محفوظ يستحق اللقب."[4] وهكذا أجمع الكثير على ذلك التشابه الكبير بين الروائيين، وسنقف هنا على أحد نقاط التشابه بينهما، ألا وهو الوصف الذي برع فيه كلا من الأديبين الكبيرين، والذي مس الشخصيات والأماكن أيضا.

2- نظام التوصيف في رواية دايفيد كوبر فيلد David Copperfield:

1.2- عالم الرواية:

الرواية تلخص لنا قصة البطل **دايفد**، وما شهدته حياته من مآس، عانى منها منذ أن أبصرت عيناه الدنيا، فقد مات والده قبل أن يولد، فتحملت أمه مسؤولية تربيته، لكن سعادته لم تكتمل فقد تزوجت أمه من رجل يدعى السيد **ميردستون**، وكان رجلا فظا، لم يحب **دايفد** منذ البداية، ما دفعه دائما بأن ينصح أم دايفد **كلارا**، بألا تتساهل معه، **وأن** تقسوا عليه في تعاملها معه، وتسبب بإرساله إلى مدرسة داخلية، فلا يستطيع رؤية أمه ولا مربيته الحنون **بيغوتي** ويتعرف هناك على على صديقين له، هما **ترادلس** الصبي الطيب الهادئ، و**ستيرفورث** الطالب الذي يكبره سنا والذي يعجب به كثيرا. وفي يوم عيد ميلاد **دايفد** يأتيه نبأ وفاة والدته، ذلك النبأ الذي يهوى عليه كالصاعقة. يترك بعدها المدرسة قاصدا بيته، ولكن السيد **ميردستون** وأخته لا يروقهما ذلك، فيقومان بالتخلص منه، فيرسلانه للعمل في إحدى مصانع النبيذ، يذهب هناك ويلاقي كثيرا من المآسي، فعمله لا يتناسب مع سنه كطفل، لا يتجاوز العاشرة من عمره يتعرف على شخص يدعى السيد **ميكاوبر**، يسكن معه ويستأجر له السيد **ميكاوبر** شقة بجانب شقته المتواضعة يختلط **دايفد** في تلك الفترة بأسرة السيد **ميكاوبر**، فيلمس طيبة أولئك الأفراد وفي الوقت نفسه يلمس غرابة في تصرفاتهم فهو شخص اعتاد التدين مما أدخله السجن، قرر **دايفيد** ترك العمل، فارا وباحثا عن أحد أقاربه، فلا يجد سوى عمته **بيتسي تروتوود**، حيث يسافر سيرا على قدميه ويتعرض للسرقة. يصل إليها منهكا ومتسخا، فتقرر أن تتولاه بالرعاية، وأن تتبناه فتبعثه إلى مدرسة جيدة، ويستقر عند محام هو صديق لعمته، يتعرف على ابنته **آغنيس** التي تساعده في دراسته، وتقف معه جنبا إلى جنب ، بعدها يقوم **دايفد** بالتدريب في مؤسسة قانونية، لمحام يدعى السيد **سبينلو**، وذلك كي يتأهل لمهنة المحاماة. يتعرف على ابنته دورا ويتزوجها، لكنها تموت، فيقرر **دايفد** السفر إلى خارج الوطن كي يخفف من حزنه على وفاتها، وعند عودته يتزوج **بآغنيس** ، ويصبح كاتبا مشهورا.

2.2- تمثلات الوصف في الرواية:

أ- وصف الشخصيات:

المنارة للاستشارات

تميز الروائي تشارلز ديكنز بالوصف الدقيق للشخوص، وصفا ماديا ومعنويا، وللأماكن أيضا، مما أسهم بذلك في تثقيف قارئه وإطلاعه على طبيعة الأماكن ومميزاتها.

فبالنسبة للشخصيات فقد وصفها وصفا دقيقا ومفصلا، حتى كأنك تحسب بأن هذه الشخصية ماثلة أمامك، يقول في وصفه للحوذي عند ذهابه إلى **يارماوث**، رفقة مربيته **بيغوتي** وذلك لأول مرة: "كانت لدى الحوذي عادة يحتفظ معها برأسه منحنيا إلى أسفل مثل جواده، وكان ينحني بجسمه إلى الأمام وهو يقود العربة واضعا يديه فوق ركبتيه."[5] وأثناء وصول دايفد إلى منزل السيد بيغوتي، يشرع في وصف أفراد هذه العائلة يقول: "كان هام ينتظر وصولنا، كان شخصا جسميا متين البنية، يبلغ طوله ست أقدام، وكان يبدو عريضا بنسبة طوله مستدير الكتفين،بوجه صبياني يتكلف الابتسام، وشعر أجعد فاتن اللون، يضفي عليه نظرة خجلى،وكان يرتدي سترة من الخيش، وزوجا من الجوارب الخشنة جدا."[6] وهي أوصاف تليق بعمله بوصفه بحارا مثل والده السيد بيغوتي.

كما تميز وصفه الدقيق بالطرافة في بعض الأحيان، وهو ما حدث عندما قام بوصف السيد ميكاوبر، أثناء لقاء دايفد به لأول مرة: "حين دخلت وجدت هناك رجلا بدينا، في منتصف العمر،يرتدي معطفا بنيا وسروالا وحذاء أسودين، ولا يبدو أن على رأسه الكبير اللامع شعرا، أكثر مما يوجد فوق بيضة، وكان وجهه عريضا، وقد صوب إلي حالما دخلت، لقد كانت ثيابه بمجملها رثة، وبيده عصا مفرطحة لها شرابتان عفنتان، بالإضافة إلى نظارة مضحكة معلقة خارج معطفه."[7] نلاحظ كيف تميز وصفه للسيد ميكاوبر ببعض الطرافة المصحوبة بسخرية طفولية، وهذا ليضفي شيئا من الفكاهة على شخصياته،

لم يكتف ديكنز بوصف شخصياته وصفا خارجيا دقيقا ومفصلا، بل وصفها وصفا داخليا ونفسيا، أيضا من أجل إعطاء صورة أكثر واقعية للقارئ عن شخصياته، ماديا ومعنويا، لأن هذا الوصف بدوره له أثر كبير في التعريف بطبيعة الشخصية، من حيث الطيبة والخبث، الغنى والفقر، الثقافة والجهل، يحيل هذا بنا تماما أن هناك علاقة وطيدة، بين المظهر الخارجي لشخص ما، وبين سلوكاته وأخلاقه أو تصرفاته، فالقارئ من خلال هذا الوصف الطريف للسيد ميكاوبر، يتشكل لديه علم مسبق ببساطة هذه

الشخصية وبطيبتها أيضا، فهو مثلا يتحدث عن مدرسة سترونغ، وعن نجاح هذه المدرسة، الذي يعود لمديرها الذي كان شخصا طيبا ولطيفا، يقول: "لكن الدكتور كان معشوق المدرسة بكاملها، ولا شك في أنها كانت لتكون مدرسة سيئة التصنيف لو أن رجلا غيره كان يديرها، لأنه كان ألطف وأفضل الرجال قاطبة وكانت رؤيته وهو يسير مع زوجته، تبعث عن البهجة والفرح."[8] حيث أنه يعقد مقارنة بين مدرسة **كريكل**، ومدرسة **سترونغ**، يقول فيها: "كانت مدرسة الدكتور سترونغ مدرسة رائعة، ومختلفة عن مدرسة السيد كريكل بقدر الاختلاف بين الفضيلة والنقيصة".[9] نلاحظ كيف أن الطبيعة القاسية للسيد كريكل، جعلت من مدرسته تعادل النقيصة، في نظر الكاتب، في حين أن طيبة ولطف السيد سترونغ، جعلت من مدرسته ناجحة ورائعة، حيث يقول بالمقابل عن السيد كريكل: "علي أن أعترف بأن ليس هناك من إنسان يتلذذ بممارسة عمله أكثر مما يتلذذ السيد كريكل، وكان لا يني يعامل التلامذة بقساوة مبالغ فيها."[10] كما يتحدث عن مربية دايفد يقول: "كنت وأنا أقف وحيدا بين جميع الحاضرين، أرى تلك الخادمة الطيبة الوفية، التي أكن لها أكبر حب بين جميع أولئك الناس الموجودين على وجه البسيطة."[11] فحبه لها كان يواسيه عما فقده في حياته.

من جهة أخرى نجده في وصف السيدة ماردستون يوضح كيف كانت هذه المرأة قاسية حتى ملامحها تعكس ذلك بشدة يقول على لسان دايفد: "بعد تناولنا العشاء اقتربت عربة من البوابة الخارجية، وكانت فيها الآنسة ماردستون، وهي تبدو أنها سيدة متزمتة، غليظة كأخيها الذي تشبهه جدا بوجهها وصوتها، كان لها حاجبان كثيفان بحيث أنهما كانا يلتقيان فوق أنفها الكبير تقريبا ولم يسبق لي ورأيت سيدة معدنية على هذه الصورة كما هي الآنسة ماردستون."[12] هذا ما أثبتته تصرفاتها مع الطفل دايفيد.

ب- وصف الأماكن:

لم يكتف ديكنز بوصف شخصياته فقط، وإنما وصف كذلك الأماكن كالمساكن والأحياء، وكل ما كانت تقع عليه عيناه، كان يصفه وصفا دقيقا مفصلا، فهو يصف منزل

دايفد القديم في بلندرستون يقول:" كان منزلنا يبرز من خلال الضباب، وكان مطبخ بيغوتي يقوم في الطابق الأرضي منه، ويفضي إلى الفناء الخلفي حيث يوجد بيت للحمام في وسطه، ينهض على أحد الأعمدة ولكن دون أن يكون فيه أي حمامة وثمة وجار للكلاب في إحدى زوايا ذلك الفناء، وليس في داخله كلب وكانت هناك كمية من الدجاج تبدو لي أنها طويلة بشكل مخيف تدرج في الفناء بطريقة متوعدة كاسرة، وكان ثمة ممر يوصل من مطبخ بيغوتي إلى الباب الأمامي، وهو باب لغرفة المئونة المعتمة، التي كانت تعتبر مكانا أعبره في الليل راكضا لأني لم أكن أدري ما قد يكون موجودا بين تلك الدلاء والدنان وصناديق الشاي القديمة".[13] يصف المقبرة يقول :"ولم أشاهد في حياتي قط خضرة في أي مكان، تضاهي نصف العشب النامي في أرض المقبرة، أو أية أشجار تضاهي بظلالها نصف ظلال أشجار المقبرة."[14] كأنها حديقة غناء.

وفي وصفه لحديقة منزل دايفد يقول: "أما الآن فإني في الحديقة الخلفية، حيث ثمار الفاكهة في الأشجار هي أكثر نضوجا واكتنازا من أي فاكهة نضجت حتى الساعة."[15] وأثناء سفر دايفد إلى منزل السيد بيغوتي، يقدم لنا وصفا دقيقا ومؤثرا، لمنزله الذي هو عبارة عن مركب على اليابسة، يجعل القارئ يتمنى السكن فيه يقول: "لم أستطع أن أشعر بالسحر بأكثر مما شعرت أمام الفكرة الرومانسية بالسكنى فيه، كان ثمة باب مفتوح في وسطه وكان له سقف ونوافذ صغيرة كان نظيف جدا من الداخل، وكانت توجد فيه مائدة وساعة حائط وخزانة ذات أدراج، وفق هذه الخزانة كانت ثمة صينية شاي وعليها لوحة زيتية لسيدة تحمل مظلة وإلي جانبها فتى عسكري المظهر يدحرج إطارا، وكان الكتاب المقدس يحفظ هذه الصينية من الوقوع، ولو أن الصينية وقد وقعت أرضا لحطمت كمية من الأقداح والصحون الصغيرة، وإبريقا للشاي كانت متجمعة حول الكتاب، وكانت على الجدران بعض الصور العادية الملونة والتي لها وزجاج يغلفها، وكلها يعود لمواضيع الكتاب المقدس وأبرز هذه الصور كانت صورة إبراهيم الخليل باللون الأحمر، وهو يمضي ليقدم ابنه إسحاق قربانا."[16] يقول في وصفه لأحد العمارات التي تعتبر تجمعا للكثير من الناس الفقراء الذين لم يجدوا مأوى ولا مكان للسكن: "كانت العمارة تعج بالنزلاء وفيما كنا نضع السلم فتحت جميع النوافذ وأطلت منها الرؤوس، وقد عبرنا بعض الأشخاص في أثناء

صعودنا، وهم يهبطون وكانت العفونة والرطوبة وعوامل الزمن قد أفسدت أرضية العمارة، بحيث لم تكن في بعض الأماكن سالمة أو مأمونة. وكانت بعض النوافذ الخلفية عبر السلم مقفلة تماما، وقلما كان يوجد أي زجاج لها، كنت أرى بيوتا مماثلة، وفي الوضع ذاته ونظرت من أعلى إلى الفناء في الأسفل، فكان عبارة عن أكداس من قذارة العمارة."[17] والتي تزيد المكان سوء.

3- نظام التوصيف في رواية زقاق المدق:

1.3-عالم الرواية:

تدور أحداث الرواية في حي يدعى زقاق المدق، بطلتها فتاة جميلة فقيرة ويتيمة، تدعى حميدة، وتلقفتها صديقة لأمها في بيع المفتقة وتولت تربيتها، أحبتها كابنتها، لكن حميدة لم يعرف الحب طريقا لقلبها، هي تعشق المال، طموحة ومتمردة، ناقمة على الزقاق وأهله، وتحسد صديقاتها اليهوديات، على حياة البذخ والملابس التي يعيشونها، يتقدم لخطبتها شاب طيب من الزقاق، هو عباس الحلو، فتقبل به لأنه الوحيد المناسب لها في الحي، فتدفعه للالتحاق بمعسكر الإنجليز، للحصول على المال الوفير، وبعد سفره تنتبذه كأنه لم يكن، وتقبل خطوبة أغنى رجل في الزقاق السيد علوان، إنها في حب الجاه لفي مرض، إلا أنه يصاب بمرض يرقده الفراش، ويفشل هذا الزواج، حميدة لا تعرف الحب بل تحب المال والمال فقط، ولذا تهرب مع القواد فرج إبراهيم، الذي يغريها بالمال والملابس، ويحولها إلى راقصة تدعى تيتي، ثم تتحول إلى عاهرة، يراها خطيبها عباس الحلو، بعد عودته في موقف شائن مع الجنود الإنجليز، تشتعل نيران الغضب في قلبه، يرميها بزجاجة على وجهها، ليشوه هذا الجمال الملعون، لينتهي به المطاف مقتولا على يد العساكر الإنجليز.

2.2- تمثلات التوصيف في الرواية:

أ- وصف الشخصيات:

أما إذا انتقلنا إلى نجيب محفوظ، فإن السمة التي برع فيها، والتي جعلته يتميز في كتاباته الروائية والواقعية تحديدا، هي الوصف الدقيق للشخوص، سواء أكان ذلك وصفا ماديا أو

المنارة للاستشارات

معنويا، وكذلك وصفه للأماكن، مما ساهم بذلك في تثقيف القارئ، واطلاعه على طبيعة الحياة المصرية الشعبية، بكل تفاصيلها وخاصة أماكنها ومميزاتها.

فأما الشخصيات، فقد وصفها نجيب محفوظ وصفا دقيقا مفصلا، وكأنه يرسم لنا لوحة لكل شخصية في الرواية، يقول في وصفه لحميدة: "كانت في العشرين متوسطة القامة، رشيقة القوام، نحاسية البشرة، يميل وجهها للطول، في نقاء رواء، وأميز ما يميزها عينان سوداوان جميلتان، لهما حور بديع فاتن، ولكنها إذا أطبقت شفتيها الرقيقتين وحدت بصرها تلبستها حالة من القوة والصرامة لا عهد للنساء بها وقد كان غضبها دائما مما لا يستهان به حتى في زقاق المدق نفسه"،[18] يمزج نجيب محفوظ في وصفه للشخصيات، بين الجانب المادي أي المظهر الخارجي، أو الجسماني، وبين الجانب المعنوي، المتعلق بالصفات النفسية والخلقية لحميدة، "ففي هذا التقرير وصفها جسديا ونفسيا، فإلى جانب صفاتها الجسدية، فهي إذا غضبت، تلبستها حالة من القوة والصرامة، لا عهد للناس بها"،[19] فهنا نلاحظ أن حميدة فتاة جميلة جدا، ولكنها مع جمالها تمتاز على خلاف الفتيات بقوة عجيبة، وغضب كبير، عرفت به في الزقاق كله، ويواصل محفوظ وصفه لأخلاق حميدة عبر صفحات الرواية يقول: "كانت تهوى مشاهدة المعروضات النفيسة من الثياب والآنية، فتثير في نفسها الطموح المتلهفة على القوة والسيطرة أحلاما ساحرة، ولذلك تركزت عبادتها للقوة في حب المال على اعتبار أنه المفتاح السري للدنيا، المسخر لجميع قواها، فجل ما كانت تعرفه عن نفسها أنها تحلم بالمال، المال الذي يأتي بالثياب وبكل ما تشتهيه الأنفس"،[20] يلخص لنا محفوظ في هذه الفقرة جميع الخصال التي تتميز بها حميدة والمتمثلة في حبها للمال، لأنه الوحيد القادر على تحقيق كل أحلامها ورغباتها، التي تتلخص في حب القوة والسيطرة، وحب الثياب، وكل ما تشتهيه نفسها، على حد تعبير محفوظ.

أثناء الحديث الذي دار بين عباس وصديق طفولته **حسين كرشة** يتحدث محفوظ عن أخلاق هذا الشاب الذي يختلف عن صديقه كل الاختلاف يقول: "ظهر عند ذلك حسين كرشة، قادما من البيت في سرواله وقميصه وقبعته، كان ينظر في ساعة بمعصمه تباهيا فخورا، وعيناه الصغيرتان تمتلئان زهوا، ومضى إلى الكرسي داخل الصالون، وقد قطع الصديقان الطفولة والصبا معا، وآخى بينهما الحب والمودة، وظلا على صداقتهما حتى

بعد أن فرق بينهما العمل، وقد تباينت أخلاقهما منذ البدء، كان عباس الحلو ولا يزال شخصا وديعا، طيب القلب ميالا إلى المهادنة والمصالحة والتسامح، مع نفور من الشجار، وكان يحافظ على صلاته وصومه، ولا تفوته صلاة الجمعة، عرف بالقناعة والرضا، وطابع المرح الذي لا يفارقه، أما حسين كرشة فكان من شطار الزقاق، مشتهرا بالنشاط والحذق والجرأة، بل هو معتد أثيم... التحق بخدمة المعسكرات البريطانية فارتقت حاله وامتلأ جيبه ورفه عن نفسه، وأكثر من أكل اللحوم، وارتاد السينما والملاهي، وعاقر الخمر ورافق النساء..."[21] عقد نجيب محفوظ مقارنة رائعة، بين عباس الحلو وصديقه حسين كرشة، منذ الطفولة حتى الشباب، وكيف أبرز لنا ذلك التناقض الصارخ، في شخصية هذين الصديقين، اللذين بقيا محافظين على صداقتهما، فالحلو شاب طيب خلوق متدين، قنوع بحياته وعمله هادئ مسالم، على خلاف صديقه الذي عرف منذ صغره بنشاطه، حتى أن نجيب محفوظ يصفه بالمعتد الأثيم، وهنا أيضا نلاحظ ذلك الفارق الكبير، والاختلاف الصارخ بين أخلاق عباس وأخلاق حميدة، بين ما يتصف به عباس من طيبة وقناعة ورضا تنطق بهما عيناه، وبين ما تتصف به حميدة من قوة وغضب، يشتغل كالشرارة من عيناها السوداوين، ومن روحها الطامحة بالمال وعدم الرضا، بحياتها ولا يعيشها في الزقاق، فهذه الصورة التي يقدمها لنا نجيب محفوظ منذ الوهلة الأولى للرواية، تجعلنا نتنبأ مباشرة بالنهاية التي تنتهي إليها العلاقة التي تجمع بين هذين الشابين، لأن حميدة كفتاة طموح متمردة، لا يناسبها شاب مثل عباس ولا يمكن أن يقنع غرورها وطمعها أبدا، وهو ما حدث بعد ذلك بالفعل.

تميز محفوظ في وصفه لشخصياته بالطرافة والهزل، لإضفاء جانب من الفكاهة والسخرية على جو الرواية، وليوطد العلاقة بين قرائه وشخصياته حتى تبدو أكثر قربا وواقعية، نراه يقول في وصفه للعم كامل بائع البسبوسة: " من عادة العم كامل أن يقتعد كرسيا على عتبة دكانه ويغط في نومه والمذبة في حجره، لا يصحو إلا إذا ناداه زبون...هو كتلة بشرية جسمية، ينحسر جلبابه عن ساقيه كقربتين، وتتدلى خلفه عجيزته كالقبة، ذو بطن كالبرميل، وصدر يكاد يتكور ثدياه، ولا ترى له رقبة، فبين الكتفين وجه مستدير منتفخ محتقن بالدم، أخفى انتفاخه معالم قسماته...وقمة ذلك كله رأس أصلع صغير لا

المنارة للاستشارات

يمتاز عن لون بشرته البيضاء المحمرة...ولا ينتهي من بيع قطعة بسبوسة حتى يغلبه النعاس."[22] رسم نجيب محفوظ صورة كاملة للعم كامل بكل براعة ودقة، وأضفى عليها جانبا من الدعابة والفكاهة،التي تزيد من حبنا واعجابنا ببساطة هذه الشخصية، فمظهره يوحي بمدى طيبته وحسن عشرته، فقد كان أبا بل وعائلة لعباس الحلو، وكان أكثر أهل الزقاق حزنا عليه عند وفاته.

يتبين هنا مدى دقة نجيب محفوظ في وصفه للعم كامل، فقد رسم لنا لوحة لهذا العم، وهو أمام دكانه ويستطيع أي واحد منا تخيل صورته بكل وضوح، كما أظفى عليه نوعا من الطرافة التي توحي بشعبية وبساطة هذا الرجل الفقير ، وبعفوية طفولية.

يمضي نجيب محفوظ في وصف شخصياته الواحد تلو الآخر، ليقدم للقارئ صورة واضحة، تنبئه بمصير كل شخصية، مظهرا لنا ذلك القارئ في المستوى الاجتماعي، والفكري والثقافي والديني. يقول في وصفه للسيد رضوان الحسيني أثناء دخوله إلى قهوة المعلم كرشة ليلا: "وهنا قدم شخص جديد تعلقت به الأنظار في إجلال ومودة، وردوا تحيته بأحسن منها، كان السيد رضوان الحسيني ذا طلعة بهية تمتد طولا وعرضا، وتنطوي عباءته الفضفاضة السوداء على جسم ضخم، يلوح منه وجه كبير أبيض مشرب بخمرة، ذو لحية صهباء، يشع النور من غرة جبينه، وتقطر صفحته بهاء وسماحة وإيمانا، سار منهما، على شفتيه ابتسامة تشي بحبه للناس وللدنيا جميعا."[23] وقد أحسسنا بكل ذلك فعلا. نلاحظ ذلك الوقار والصفاء الذي ألبسه نجيب محفوظ لهذه الشخصية المميزة في الرواية كلها، فالسيد رضوان الحسيني جعله نجيب محفوظ صورة للنقاء والصفاء والجمال والطهارة الداخلية والخارجية معا، كان هذا الرجل ملاذ كل من حل به ضيق في أهل الزقاق، صاحب مواعظ وحكم وإرشادات، فهو الموجه وهو الناصح الحكيم ولذا أحبه أهل الزقاق جميعا.

يظهر هنا ما يتميز به السيد رضوان الحسيني، من صبر وإيمان وحب للخير للناس، رغم كل ما ألم به من أحزان وخيبة وفقد للأبناء، إن هذه الشخصية المميزة بإيمانها وصفاء نفسها، جعلت في الرواية روحا مختلفة طاهرة نقية، وقد برع محفوظ وتألق في وصفها، وفي

إلقاء تلك الحكم على لسانه، هذه الحكم التي توحي وتمرر رسائلها إلى الإنسانية جمعاء، بالدعوة إلى السلم ومحبة الناس.

في مقابل هذه الصورة المنيرة والمشرقة لهذه الشخصية المحبوبة، عند الجميع في الزقاق والتي جعلت القارئ يميل إليها، نجد شخصية أخرى أقل ما يقال عنها، أنها شخصية غريبة شاذة ومنبوذة أخلاقيا واجتماعيا، ألا وهو المعلم كرشة، رسم لنا محفوظ هذه الشخصية في أبشع صورة يمكن أن توصف لشخص غيرته النوائب والمتغيرات الطارئة على الحياة، بعد الاحتلال وبعد الحرب يقول فيه: "كان المعلم كرشة رجلا مسلوب الإرادة، لم يترك له الحشيش من إرادته نفعا ومع ذلك كان على خلاف الأكثرية من تجار هذا الصنف في حكم الفقراء، لا لأن تجارته غير نافعة ولكن لأنه كان مبذرا، يبعثر ما يربحه جريا وراء شهواته، خصوصا هذا الداء الوبيل... ومن عجب أن المعلم كرشة قد عاش عمره في أحضان الحياة الشاذة ... هو تاجر مخدرات اعتاد العمل تحت جنح الظلام، وهو طريد الحياة الطبيعية وفريسة الشذوذ، واستسلامه لشهواته لا حد له ولا ندم عليه ولا توبة تنتظر منه، فيقول عن الحكومة: إنها تحلل الخمر التي حرمها الله وتحرم الحشيش الذي أباحه، وأما عن شهوته الأخرى فيقول لكم دينكم ولي ديني."[24] فقبح الصفات التي اتصف بها هذا الرجل، جعلت القارئ ينفر منه على خلاف الشخصية الأولى، المتمثلة في السيد رضوان الحسيني.

ب- وصف الأماكن:

إذا انتقلنا إلى نجيب محفوظ فهو لم يقتصر على وصف الشخصيات فحسب، بل وصف كذلك الأماكن، وكل ما كانت تقع عليه عيناه كالشوارع والأحياء والسكنات، "والمكان في الرواية هو جزء هام من وثيقة الزمان، منه تتشكل البنية الاجتماعية المتخيلة المستمدة من تاريخ الأشخاص والأحداث والوقائع والوثائق، وعادة ما يستثمر الخطاب الروائي الإرث الاجتماعي لأبعاد المكان في تأويل الواقع ورسم الدلالة الحكائية المعبرة عن رؤى الكاتب وطموحاته."[25] وكذا توقعاته أيضا.

المنارة للاستشارات

زقاق المدق "جزء من مكان موجود في القاهرة، استهل به نجيب محفوظ روايته وصفا ونقلا للصورة كما هي فنجده قد وصف الزقاق ببيوته، وطبيعة الناس الذين يعيشون فيه ومحلاته كافة، إضافة إلى شعور الملل ورتابة الحياة هناك، كعادة حياة المصريين في المناطق المشابهة."[26] فهو صورة عن الزقاق المصري الشعبي البسيط.

نجد في الرواية أن المكان غالبا هو البطل فهو الرابط المقدس لكل العلاقات التي تجمع بين الفرد ومجتمعه من جهة وبينه وبين باقي الشخصيات من جهة أخرى، "أي بين بواطن الإنسان الداخلية بكل ما يعتريها من صراعات نفسية وفكرية واجتماعية، وبين كل شخصية ونظيراتها من شخصيات الرواية بأكملها، فيكشف المكان النقاب عن مأساة هذه الشخوص صورة للصراع داخل الرواية."[27] صراع الشخصيات مع أنفسهم ومع بعضهم ومع المكان وكذا الأوضاع السائدة فيه.

يستهل روايته بوصفه للزقاق يقول: "تنطلق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة... ولكنه على أية حال أثر وأثر نفيس كيف لا وطريقه المبلط بصفائح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصناديقية، تلك العطفة التاريخية وقهوته المعروفة بقهوة كرشة تزدان جدرانها بتهاويل الأرابيسك، هذا إلى قدم باد، وتهدم وتحلل، وروائح قوية من طب الزمان القديم الذي صار مع كرور الزمن عطارة اليوم والغد."[28] وهذا يوحي بالأصالة والقدم.

نلاحظ كيف ركز نجيب محفوظ في وصفه لهذا الزقاق على الجانب التاريخي العريق والأصيل، الذي ينتمي إليه الزقاق، ويواصل حديثه عنه يقول: "ومع أن هذا الزقاق يكاد يعيش في شبه عزلة عما يحتويه من مسارب الدنيا، إلا أنه على رغم ذلك يضج بحياته الخاصة حياة تتصل في أعماقها بجذور الحياة الشاملة وتحتفظ إلى ذلك بقدر من أسرار العالم المنطوي".[29] هذا الزقاق هو العينة المصغرة ليس لمصر فقط، وإنما يكشف من خلال ما يعلنه وما خفيه، من أسرار العالم، كله فهو نموذج إنساني مصغر للعالم، معبرا عن رؤية محفوظ للعالم كله.

يسترسل بعد ذلك في وصف الزقاق، ليقدم لنا الصورة الحقيقية له يرسم صورة واضحة للزقاق، بشكله ودكاكينه، والمقهى والبيتين الوحيدين اللذين يتواجدان فيه، ملخصا إياه بعبارة أنه منحصر بين جدران ثلاثة كالمصيدة، ليعبر عن مدى صغر وبساطة هذا المكان المتواضع. ثم يواصل وصفه للدكاكين الموجودة فيه: "أما صالون الحلو فدكان صغير يعد في الزقاق أنيقا ذو مرآة ومقعد غير أدوات الفن"،[30] ويصف المقهى بقوله: "كان المدق يغرق في الصمت، لولا أن مضت قهوة كرشة ترسل أنوارها من مصابيح كهربائية، عشش الذباب بأسلاكها، وراح يؤمها السمار، هي حجرة مربعة الشكل في حكم البالية، ولكنها على عفاتها تزدان جدرانها بالأرابيسك، فليس لها من مطارح المجد إلا تاريخها، وعدة أرائك تحيط بها."[31] ومع ذلك فهي تعج بالزبائن ليل نهار.

كما وصف الغرف، فيقول في وصف غرفة أم حميدة: "كانت الحجرة صغيرة بها كنبتان من الطراز القديم متقابلتين، وفي الوسط خوان باهت عليه نافضة سجائر، وأما أرضها فمفروشة بحصيرة"[32] يعبر هذا الوصف عن الحالة الاجتماعية الصعبة، التي تعيشها حميدة وأمها في منزل فقير كهذا، ويصف أيضا منزل السيد رضوان أثناء زيارة أم حسين إليه يقول: "كان السيد يجلس على فروة مسبحا، المجمرة أمامه وإبريق الشاي على يمينه، كانت حجرته الخاصة صغيرة أنيقة، تحدق بأركانها الكنبات، ويغطي أرضها سجاد شيرازي، تقوم في وسطها مائدة مستطيلة رصت عليها الكتب الصفر، ويتدلى فوقها من السقف مصباح غازي كبير".[33] نلاحظ تلك الدقة الكبيرة في وصف غرفة السيد رضوان الحسيني، وهو تميزت به جميع أوصافه للأماكن التي ورد ذكرها في الرواية.

يواصل حديثه ليصف الخرابة التي يعيش فيها زيطة صانع العاهات وفي الجدار المواجه للمدخل تطل على باب خشبي قصير يفتح على خرابة، تسطع فيها رائحة تراب وقذارة، إذ ليس بها إلا كوة في الجدار المواجه للمدخل تطل على فناء بيت قديم، وعلى بعد ذراع من الكوة، مصباح يشتعل يلقي على المكان ضوء خفيفا يفضح أرضه المتربة المغطاة بأنواع لا يحصيها العد من القاذورات المتنوعة، كأنها مزبلة، أما الرف الذي يحمل المصباح فطويل ممتد بطول الجدار رصت عليه زجاجات كبيرة وصغيرة وأدوات مختلفة وأربطة

المنارة للاستشارات

كثيرة، كأنه رف صيدلي لولا قذارته النادرة".[34] صور محفوظ تلك الحالة من القذارة والوسخ، والظلام الدامس المخيم عليها.

لم يترك نجيب في الرواية شارعا ولا منزلا أو غرفة ولا دكانا أو قهوة إلا وقام بوصفها وصفا مفصلا وهذا راجع لحبه الكبير لوصف كل ما كانت تقع عليه عيناه وهي أبرز ميزة لدى كتاب الواقعية النقدية.

تأخذنا الرواية إلى "التاريخ العميق إلى الحارة المصرية والمقاهي لطعم الأزقة ففيها تجسيد لروح القاهرة القديمة وناسها وعاداتها في حراكها، إنها الأماكن تحيا فينا وبنا طوال الوقت كأنها أحد مخازن الشعور بل أن مصائر شخصياته ترتبط بالأمكنة حتى أصبح المكان في أعماله مفتاحا لقراءة الشخصية المصرية، فلقد كان محفوظ عاشقا بحق للأمكنة و وهي أماكن متناهية في الصغر مثل الحارة والعوامة والبنسيون ملامح أساسية في أعماله، فكانت المقاهي لديه بمثابة علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي، فوظيفتها كمكان للتجمع واللقاء بين الناس إلى مكان مواز وفضاء رحب تتفاعل فيه جميع الأفكار السياسية والمذاهب الفكرية تتجادل في صخب."[35] وكذلك كان مقهى كرشة في روايتنا المكان الذي يجمع الكثير من الشخصيات ويفضح الكثير من الحقائق.

4- التوصيف بين التداخل والاختلاف:

حرص كلا الروائيين نجيب محفوظ وتشارلز ديكنز، على وصف شخصياتهما وتصويرهما تصويرا دقيقا مفصلا، وهذا راجع لمدى حب هذين الأديبين للوصف، وهي سمة مشتركة بينهما، كان هذا واضحا جليا في الرواية، لأجل إطلاع القارئ على كل ما يتعلق بشخصياتهما، لتتكون له تلك الصورة الكاملة والمفصلة عن كل ما يتعلق بشخصيات للرواية، كما مزجا في وصفهما بين الجانب الخارجي أو المظهر الجسماني المادي و بين الجانب المعنوي أو النفسي أيضا من أجل إعطاء صورة أكثر واقعية للقارئ عن شخصياته، ففي وصف نجيب محفوظ لحميدة يقول: " كانت في العشرين متوسطة القامة، رشيقة القوام، نحاسية البشرة، يميل وجهها للطول، في نقاء رواء، وأميز ما يميزها عينان سوداوان جميلتان، لهما حور بديع فاتن، ولكنها إذا أطبقت شفتيها الرقيقتين وحدت بصرها تلبستها

حالة من القوة والصرامة لا عهد للنساء بها وقد كان غضبها دائما مما لا يستهان به حتى في زقاق المدق نفسه"،[36] يوضح لنا أنه وعلى الرغم من جمالها إلا أنها تمتاز على خلاف الفتيات بقوة عجيبة، وغضب كبير، عرفت به في الزقاق كله.

كما يورد ديكنز في روايته نموذجا نسائيا يتمثل في السيدة ماردستون التي تمتاز بطبع حاد وقاس لا عهد للنساء به يقول: " بعد تناولنا العشاء اقتربت عربة من البوابة الخارجية، وكانت فيها الآنسة ماردستون، وهي تبدو أنها سيدة متزمتة، غليظة كأخيها الذي تشبهه جدا بوجهها وصوتها، كان لها حاجبان كثيفان بحيث أنهما كانا يلتقيان فوق أنفها الكبير تقريبا ولم يسبق لي ورأيت سيدة معدنية على هذه الصورة كما هي الآنسة ماردستون"[37] فهي تمتاز بطبع مستبد، ومزاج شيطاني عات ومتزمت، أثبتته تصرفاتها القاسية مع الطفل دايفيد.

من نقاط التشابه بين ديكنز ومحفوظ أيضا، الإسهاب في الوصف مع إضفاء طابع من الطرافة والسخرية فهذا ديكنز يصف السيد ميكاوبر بقوله: " حين دخلت وجدت هناك رجلا بدينا، في منتصف العمر،يرتدي معطفا بنيا وسروالا وحذاء أسودين، ولا يبدو أن على رأسه الكبير اللامع شعرا، أكثر مما يوجد فوق بيضة، وكان وجهه عريضا، وقد صوب إلي حالما دخلت، لقد كانت ثيابه بمجملها رثة، وبيده عصا مفرطحة لها شرابتان عفنتان، بالإضافة إلى نظارة مضحكة معلقة خارج معطفه."[38] نلاحظ كيف تميز وصفه للسيد ميكاوبر ببعض الطرافة المصحوبة بسخرية طفولية، ليضفي شيئا من الفكاهة على شخصياته، ونجد محفوظ في وصفه للعم كامل بائع البسبوسة يقول: " من عادة العم كامل أن يقتعد كرسيا على عتبة دكانه ويغط في نومه والمذبة في حجره، لا يصحو إلا إذا ناداه زبون...هو كتلة بشرية جسمية، ينحسر جلبابه عن ساقيه كقربتين، وتتدلى خلفه عجيزته كالقبة، ذو بطن كالبرميل، وصدر يكاد يتكور ثدياه، ولا ترى له رقبة، فبين الكتفين وجه مستدير منتفخ محتقن بالدم، أخفى انتفاخه معالم قسماته...وقمة ذلك كله رأس أصلع صغير لا يمتاز عن لون بشرته البيضاء المحمرة...ولا ينتهي من بيع قطعة بسبوسة حتى يغلبه النعاس."[39] يتبين هنا مدى دقة نجيب محفوظ في وصفه للعم كامل، فقد رسم

المنارة للاستشارات

لنا لوحة لهذا العم، وهو أمام دكانه ويستطيع أي واحد منا تخيل صورته بكل وضوح، كما أظفى عليه نوعا من الطرافة التي توحي بشعبية وبساطة هذا الرجل الفقير ، وبعفوية طفولية.

حرص كلا الروائيين على وصف المنازل والغرف والعمارات والشوارع والأحياء الشعبية الفقيرة؛ يقول ديكنز في وصفه لأحد العمارات التي تعد تجمعا سكانيا للفقراء: " كانت العمارة تعج بالنزلاء وفيما كنا نضع السلم فتحت جميع النوافذ وأطلت منها الرؤوس، وقد عبرنا بعض الأشخاص في أثناء صعودنا، وهم يهبطون وكانت العفونة والرطوبة وعوامل الزمن قد أفسدت أرضية العمارة، بحيث لم تكن في بعض الأماكن سالمة أو مأمونة. وكانت بعض النوافذ الخلفية عبر السلم مقفلة تماما، وقلما كان يوجد أي زجاج لها، كنت أرى بيوتا مماثلة، وفي الوضع ذاته ونظرت من أعلى إلى الفناء في الأسفل، فكان عبارة عن أكداس من قذارة العمارة."[40] يتضح من خلال هذا المقطع الوصفي مدى حالة الفقر والبؤس، التي تعيشها الأحياء الشعبية الانجليزية، إذ يلجأ الفقراء إلى السكن في مثل هذه التجمعات المليئة بالقذارة، حتى لا يبيتون في الشوراع والطرقات، ويرصد نجيب وضعا مشابها في رواية زقاق المدق من خلال وصفه لتلك الخرابة التي يعيش فيها زيطة صانع العاهات: " وفي الجدار المواجه للمدخل تطل على باب خشبي قصير يفتح على خرابة، تسطع فيها رائحة تراب وقذارة، إذ ليس بها إلا كوة في الجدار المواجه للمدخل تطل على فناء بيت قديم، وعلى بعد ذراع من الكوة، مصباح يشتعل يلقي على المكان ضوء خفيفا يفضح أرضه المتربة المغطاة بأنواع لا يحصيها العد من القاذورات المتنوعة، كأنها مزبلة، أما الرف الذي يحمل المصباح فطويل ممتد بطول الجدار رصت عليه زجاجات كبيرة وصغيرة وأدوات مختلفة وأربطة كثيرة، كأنه رف صيدلي لولا قذارته النادرة".[41] صور محفوظ تلك الحالة من القذارة والوسخ، والظلام الدامس المخيم عليها، والتي تكشف عن بشاعة الوضع الذي يعيشه الفقراء والبؤساء من أفراد المجتمع، سعى كلا الروائيين عبر هذه المقاطع الوصفية المطولة إلى تعرية الواقع وفضحه، وتسليط الضوء على تلك الطبقة من المجتمع والتعبير عن حقيقة ما تعيشه من فقر وبؤس.

يظهر التشابه بين محفوظ وديكنز في "جمعهما بين المتناقضات في بقعة واحدة وزقاق المدق هي الصورة الكاملة لما كان يهواه ديكنز من أجواء فيها الراحة النفسية والمرح إلى جانب الظلام والعنف والجنون والموت، وقد جمعت أولى رواياته الواقعية بين الروحي والمادي والفوضوي، وكذلك اجتمع القواد مع السلفي على المقهى في زقاق المدق، التي تذكر ببعض ملامح أوليفر تويست فهذه التنويعات تسبغ على جو الرواية كثيرا من الحيوية وتستعمل كأداة تشويق، ومع ذلك فإن ديكنز كان أكثر تفاؤلا من محفوظ، لكن محفوظ يعد أكثر كتابنا الروائيين قدرة على نقل القارئ جسما وروحا إلى جوه الروائي وعالمه الخاص، ويتوصل إلى ذلك من خلال المبالغة في العناية بالتفاصيل الصغيرة"[42] لذا وجدنا الرواية تعج بالوصف المفصل لكل صغيرة وكبيرة مهما كانت.

5- خاتمة:

نستنتج من خلال عرضنا هذا أن كلا من تشارلز ديكنز ونجيب محفوظ قد اتفقا على جملة من النقاط وهي:

- مزج كلاهما في وصفهما للشخصيات، بين الجانب المادي أي المظهر الخارجي، أو الجسماني، وبين الجانب المعنوي، المتعلق بالصفات النفسية والخلقية ، من أجل إعطاء صورة أكثر واقعية للقارئ عن شخصياتما، ماديا ومعنويا، لأن هذا الوصف بدوره له أثر كبير في التعريف بطبيعة الشخصية، من حيث الطيبة والخبث، الغنى والفقر، الثقافة والجهل.

- حرص كلا من نجيب وديكنز على تصوير شخصياتهما بكل صدق وأمانة، فصفات الشخصيات في كرمها وحيويتها وإخلاصها وحبها، وقدرتها على إثارة عطف الغير والوصول إلى قلوبهم، يضفي على هذا العالم إحساسا بالصدق والعالمية.

- استوحى كلاهما شخصياته من الواقع ومن البيئة المحلية، سواء العربية المصرية أو الانجليزية، فهي نماذج مألوفة في المجتمع، كانت شخصيات واقعية في وجودها وفي تفكيرها وكذلك في تصرفاتها فهذه الشخصيات تنحدر من أدنى الطبقات، كل شخصية من شخصيات الرواية نراها في آلاف البشر، وكانت انعكاسا صادقا لطباعهم وملامحهم.

المنارة للاستشارات

- نجد في الروايتين أن المكان غالبا هو البطل، فهو الرابط المقدس لكل العلاقات التي تجمع بين الفرد ومجتمعه من جهة، وبينه وبين باقي الشخصيات من جهة أخرى.

- الأماكن التي وصفها الروائيين كانت متشابهة، كلاهما ركز على وصف المنازل والغرف والعمارات والشوارع.

- جمعت هذه الأماكن شخصيات مختلفة ومتناقضة في آن واحد نجد الفقير والغني، المتدين والشاذ، الطيب والمحتال، كلهم قد اجتمعوا في مكان واحد.

الهوامش:

1-محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2005، ص556.

2- مصطفى عابدين، بين ديكنز ومحفوظ.https://al_sharq.com

3- توفيق صالح، الغزالي اعتذرلنجيب محفوظوقال له قرأت الرواية خطأ، 2006/11/29 https://alqabas.com

4-سالي حسام الدين، "ديكنزالمصري" نجيب محفوظ في عيون غربية، الثلاثاء 30أوت 2016 www.dotmsr.com

5- تشارلز ديكنز، دايفيدكوبرفيلد، تررحاب عكاوي، ص22.

6-المصدرنفسه، ص23.

7-المصدرنفسه، ص88.

8-المصدرنفسه، ص121.

9-المصدرنفسه، ص120-121.

10-المصدرنفسه، ص53.

11-المصدرنفسه، ص70.

12-المصدرنفسه، ص35.

13-المصدرنفسه، ص18.

14-المصدرنفسه، ص19.

15-المصدرنفسه، ص16.

16-المصدرنفسه، ص24-25.

17-المصدرنفسه، ص250.

18-المصدرنفسه، ص25-26.

19-عودة الله منيع القيسي، نجيب محفوظ تكتيك الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواياته، دار البداية، ط1، ص109.

20-نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص42-43.

21-المصدرنفسه، ص34-35.

22نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص4.

23-المصدرنفسه، ص09.

24-المصدرنفسه، ص47-48.

25- شوقي بدريوسف، متاهات السرد دراسات تطبيقية في الرواية والقصة القصيرة، مطبوعات الكلمة المعاصرة، ط1، الإسكندرية، 2000، ص56.

26- أولياء جمعية القضاة التونسيين، حميدة زقاق المدق إبداع عم نجيب ، 2016/09/01. https://m facebook.com

27- مريم الشنقيطي، امتزاج الشخصية بالمكان في أدب نجيب محفوظ زقاق المدق أنموذجا، 2013/10/19. /www.aljazirah.com

28-نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص03.

29-المصدرنفسه، ص03.

30-المصدرنفسه، ص05.

31-المصدرنفسه، ص05.

32-المصدرنفسه، ص17.

33-المصدرنفسه، ص94.

34-المصدرنفسه، ص58.

35- عزة بدر، متعة الحياة في أدب نجيب محفوظ، مجلة صباح الخير17ديسمبر2016 www.rozaelyossef.com

36- نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص25-26.

37 - تشارلز ديكنز، دايفيدكوبرفيلد، تررحاب عكاوي، 35.

38-المصدرنفسه، ص88.

39نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص4.

40-المصدرنفسه، ص250.

41-المصدرنفسه، 58.

42- محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، ص557-558.

المصادروالمراجع:

الكتب:

1- تشارلز ديكنز، دايفيد كوبرفيلد، تررحاب عكاوي، دارالحرف العربي، بيروت، لبنان، ط2012/1.

2- شوقي بدريوسف، متاهات السرد دراسات تطبيقية في الرواية والقصة القصيرة، مطبوعات الكلمة المعاصرة، ط1، الإسكندرية.

3- عودة الله منيع القيسي، نجيب محفوظ تكتيك الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواياته، دارالبداية، ط1.

4- محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2005.

المنارة للاستشارات

5- موريس حنا شربل، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب، جروس برس،د.ط، طرابلس، لبنان، 1996.

المقالات:

1- أولياء جمعية القضاة التونسيين، حميدة زقاق المدق إبداع عم نجيب ، 2016/09/01. https://m facebook.com

2- توفيق صالح، الغزالي اعتذر لنجيب محفوظ وقال له قرأت الرواية خطأ، 2006/11/29 https://alqabas.com

3- سالي حسام الدين، "ديكنز المصري" نجيب محفوظ في عيون غربية، الثلاثاء 30أوت 2016 www.dotmsr.com

4- عزة بدر، متعة الحياة في أدب نجيب محفوظ، مجلة صباح الخير17ديسمبر2016 www.rozaelyossef.com

5- مريم الشنقيطي: امتزاج الشخصية بالمكان في أدب نجيب محفوظ زقاق المدق أنموذجا، www.aljazirah.com/.2013/10/19

6- مصطفى عابدين، بين ديكنز ومحفوظ.https://al_sharq.com